

مملكة كلوة الإسلامية في شرق أفريقيا

(٣٦٥ - ٩٠٣ هـ / ٩٧٥ - ١٤٩٨ م)

قامت مملكة كلوة الإسلامية في الساحل الشرقي لأفريقيا ، وامتدت من مدينة مقديشو شمالاً إلى ما عرف عند الجغرافيين العرب بسُفالة الزنج جنوباً ، وبهذا يتضح أنها أصبحت تهيمن على الساحل الشرقي لإفريقيا ، وذلك في أقصى اتساعها وذروة ازدهارها^(١) .

وقد عرفت المنطقة التي قامت فيها هذه المملكة لدى الجغرافيين العرب باسم ساحل الزنج ، أو بلاد الزنج ، وذلك نسبة إلى سكانها من الزنج أولاد كوش بن كنعان ، حيث كانت تقوم دولتهم وتتخذ من (سُفالة) مركزاً لها ويتولى أمرهم ملك يلقب بوكليمي ، ويطلق هذا اللقب على سائر ملوكهم^(٢) ، ويحدد اليعقوبي حدود دولة الزنج الشمالية بالحبشة^(٣) ، ومن هنا يتضح أنها تهيمن على الساحل الشرقي لأفريقيا .

(١) السيد رجب حراز. إفريقيا الشرقية والاستعمار الأوروبي - القاهرة ،

١٩٦٨م ، ص ٤٠ ، ٥٠ .

(٢) المسعودي . مروج الذهب ؛ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - ط ٤ ،

١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م ج ٢ / ص ٦٠ .

(٣) تاريخ اليعقوبي - بيروت : دار صادر ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، ج ١ / ص ١٩٣ .

الدكتور :
عبد العزيز
ابن راشد
العبيدي *

* بكالوريوس من
كلية اللغة
العربية والعلوم
الاجتماعية -
جامعة الإمام
محمد بن سعود
الإسلامية عام
١٣٩٤ هـ .
- ماجستير من
الكلية والجامعة
نفسها عام
١٤٠١ هـ .
- دكتورة من
الكلية والجامعة
نفسها عام
١٤٠٦ هـ .
- يعمل الآن أستاذاً
مشاركاً بكلية
العلوم
الاجتماعية
بجامعة الإمام
محمد بن سعود
الإسلامية .

أما من الجنوب فإن أقصى منطقة أشار إليها الجغرافيون العرب هي بلاد سُفَّالَة ، يقول الحموي : " سُفَّالَة آخر مدينة تعرف بأرض الزنج " (١) .

وقد كانت هذه الدولة تتمتع بشيء من التنظيم السياسي ، حيث كان الملك يُختار من الرب في زعمهم لإقامة الملك والعدل ، ومتى ما حاد عن ذلك وجار في حكمه قتلوه وحرّموا عقبه من الملك ، ويصفهم المسعودي بأنهم أولو فصاحة في لغتهم وفيهم الخطباء الذين يعظون الناس ويخوفونهم من عقاب بارئهم ، ويرغبونهم في طاعته ، مع أنهم ليس لهم شريعة يرجعون إليها " بل رسوم ملوكهم وأنواع من السياسات يسوسون بها رعيّتهم " (٢) .

اشتهرت بلاد الزنج بإنتاج الذهب " فهي أرض كثيرة الذهب " (٣) ، واشتهر الذهب السُفَّالي (نسبة لسُفَّالَة) عند تجار الزنج (٤) ، وقد شجع ذلك التجار من البلاد الأخرى للمجيء إلى بلاد الزنج طلباً للذهب ، وانعكس ذلك على أهل البلاد الأصليين الذين تمتعوا بشيء من الرخاء الاقتصادي (٥) ، وإلى جانب الذهب كانت هناك سلع أقبل التجار على شرائها ، وأهمها : العاج ، والعنبر ، والرقيق (٦) . كانت الصلات بين هذه البلاد والبلاد العربية قديمة جداً ، حيث عرف العرب من

(١) معجم البلدان - بيروت : دار صادر ، ١٢٧٦هـ / ١٩٥٧م ، ج ٣ / ص ٢٢٤ .

(٢) مروج الذهب ، ج ١ / ص ١٦ ، ١٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٦ .

(٤) ياقوت الحموي ، ج ٣ / ص ٢٢٤ .

(٥) أبو عبد الله الشريف الإدريسي . نزهة المشتاق في اختراق الآفاق - ط ١ - بيروت : عالم

الكتب ، ١٤٠٩هـ ، ج ١ / ص ٦٨ .

(٦) جورج فاضلو حوراني . العرب والملاحه في المحيط الهندي ؛ ترجمة يعقوب بكر - القاهرة :

مكتبة الأنجلو المصرية ، ص ٢٣١ .

سكان الجزيرة العربية ركوب البحر، وأبحروا بسفنهم شرقاً وغرباً، وأقاموا صلات تجارية مع تلك البلاد ، وكانت سفنهم تتطلق من موانئ موزا (مخا الحالية) ، وعدن، وكناني، وعمانة، وجزيرة سقطرة، تنقل السلع الإفريقية إلى الجزيرة العربية^(١).

ولما جاء الإسلام وتوحد العرب تحت رايته ازدهرت الصلات مع الساحل الشرقي لإفريقيا ، وأصبح هذا الاتصال يتمثل في عدد من الوسائل المهمة ، وهي : الدعوة ، والهجرة ، والتجارة ، وقد امتزجت هذه العوامل فيما بينها وتداخلت بحيث أصبح التاجر داعية ، والمهاجر داعية ، وعن طريقهما انتشر الإسلام في هذه البلاد وتكونت المراكز الإسلامية التي سرعان ما تحولت إلى ممالك ، وإمارات ، ودول إسلامية انتشرت على طول الساحل الشرقي لإفريقيا ، بل الأهم من هذا كله ظهور عنصر بشري جديد ديانتة الإسلام ، ولغته مزيج من اللغة العربية ، واللغات المحلية أصبحت تعرف بالسواحلية، كما أصبح من يتكلم بها يعرف بالسواحلي، وينسب لها . ولعل أهم ما ينبغي إبرازه هنا أن الإسلام قد انتشر في هذه المنطقة بالوسائل السلمية ، ولم يدخلها جندي مسلم واحد ، وفي هذا دلالة واضحة وجلية على خاصية الانتشار الذاتي للإسلام حينما يتمثله أبناؤه ويلاقي بيئة صالحة خالية من العوائق، ولا يزال الدين الإسلامي هو الدين الذي يعتنقه الأكثرية من السواحليين، كما أنه مستمر في الانتشار بالوسائل المتاحة في تلك البلاد .

والحقيقة أن الباحث لا يستطيع تحديد مسار الدعوة والدعاة في هذه البلاد إلا من خلال النتائج الجلية الواضحة المتمثلة في انتشار الإسلام ، وبناء المساجد ، ولا تسعفنا المصادر التاريخية بأسماء هؤلاء الدعاة ، وتاريخ دعوتهم إلا أن وجودهم منذ وقت مبكر أمر لا شك فيه ، وإلا بماذا تفسر انتشار الإسلام في القرن الأول

(١) جورج حوراني . العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص ٨١ ، وما بعدها .

الهجري في بلاد الصومال^(١)، كما أن الدعاة قد سبقوا المهاجرين إلى تلك البلاد ومهدوا الطريق لوصولهم بعد ذلك بأعداد كبيرة، وساعدت معرفة العرب القديمة بساحل الزنج على توافدهم إليه في شكل تجار، أو دعاة، ثم استقرارهم وتدفق هجراتهم إليه طيلة العصور الإسلامية.

كانت الهجرة هي العامل الأهم في تأسيس المراكز الإسلامية على طول الساحل، والتي تحولت بعد ذلك إلى إمارات وممالك، وعلى الرغم من هذه الأهمية إلا أن المصادر التاريخية المبكرة لا تسعفنا بمعلومات وافية ودقيقة عن هذه الهجرات وتواريخها وخط سيرها، وكل ما وصل إلينا معلومات شفوية تناقلها السكان، ولم يتم تدوينها إلا في وقت متأخر، وهذه حالة متكررة في كثير من مناطق إفريقيا، فالمعلومات التي وصلت عن هذه الهجرات ترجع في أغلبها إلى مخطوطة اكتشفها الأوروبيون حينما وصلوا إلى شرق إفريقيا وتعرف بكتاب خبرلامو، وقد ألفه شيبو فرج بن حمد الباقرى، وقد نقل الأستاذ هتشنز Hichens^(٢) هذه الروايات التي أصبحت المصدر الرئيس عن المعلومات التاريخية للهجرات الإسلامية لشرق إفريقيا، كما أن المسيو جيان^(٣)، وتوماس أرنولد^(٤) قد نسبها إلى مخطوطة عثر عليها البرتغاليون في كلوة حينما استولى عليها دون فرانسيسكو دالميدا سنة

(١) جامع عمر عيسى الصومالي . تاريخ الصومال في العصور الوسطى الحديثة، ١٣٨هـ - ١٠ القاهرة : مطبعة الإمام ص ١٣.

(٢) Hichens : Islam in Eaesta africa p . 115 ، وانظر : حسن أحمد محمود . الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا - القاهرة : دار الفكر العربي ، ص ٣٩٦.

(٣) وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن إفريقيا الشرقية : نقله للعربية ملخصاً : يوسف كمال - ط ١ ، ١٣٤٥هـ ، ص ٨٤ .

(٤) الدعوة إلى الإسلام : ترجمة حسن إبراهيم حسن ، وعبد المجيد عابدين - ط ١ - القاهرة : مكتبة النهضة ، ١٩٧٠م ، ص ٣٧٧.

٩١٠هـ/١٥٠٥م ، وربما تكون هذه المخطوطة هي خبر لآمو حيث إن المعلومات متوافقة في كلا المصدرين ، وبما أن المصادر التاريخية لم تشر إلى هذه الهجرات صراحة ، وإنما أشارت إلى ما ارتبط بها من أحداث ، وحيث إن ما ذكرته هذه المخطوطة - على الرغم من بعض المبالغات والأساطير التي اكتنفتها - له صلة بالواقع التاريخي لهذه المنطقة ويتفق مع ما ورد بعد ذلك في المصادر الجغرافية ، وكتب الرحلات ولو في بعض الجزئيات ، فإن الباحث لا يرى مندوحة من استعراضها كأساس للوجود الإسلامي في بلاد الزنج، أو الساحل الشرقي لإفريقيا . كانت أولى الهجرات الكبيرة والمؤثرة هي هجرة الزيدية، والتي وصلت إلى الساحل الشرقي في النصف الأول من القرن الثاني الهجري وذلك بعد مقتل زيد بن علي بن الحسين الذي خرج على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك سنة ١٢١هـ^(١)، ويبدو أن هؤلاء الزيدية قد اندمجوا مع سكان الصومال الحاليين غير أنهم لم يؤثروا عليهم بنشر المذهب الزيدي، ومما يؤيد وجود هذه الهجرة انتشار المذهب الزيدي على الشاطئ المقابل في اليمن بحيث لا يستبعد وجود صلات قوية بين المنطقتين لقربهما^(٢).

وإلى جانب هذه الهجرة أشارت بعض المراجع التاريخية إلى هجرة ابني عبد الجلندي سليمان ، وسعيد ، والتي تذكر أنهما قد انهزما أمام جيوش الحجاج في عُمان مما اضطرهما للهجرة إلى ساحل شرق أفريقيا ، وتحديداً إلى ميناء لآمو حيث أقاما إمارة إسلامية هناك ظلت مدة من الزمن ونشروا الإسلام على مذهب الخوارج الإباضية^(٣).

(١) الطبري . تاريخ الأمم والملوك - بيروت : دار الفكر، ج٨/ص ٢٦٠ .

(٢) توماس أرنولد . الدعوة إلى الإسلام ، ص ٣٧٩ .

(٣) حسن أحمد محمود . الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص ٣٩٨، محمود محمد الحويري .

ساحل شرق أفريقية ، ص ٢١ ، ٢٢ .

والحقيقة أن هذه المراجع قد أخطأت في تحديد تاريخ هذه الهجرة ، بل إن الحويري قد جانبه الصواب في إحالته خبرها إلى مصدرين تاريخيين مهمين هما تاريخ الطبري ، والكامل لابن الأثير ، حيث لا يوجد شيء مما ذكره فيهما وإنما أشارا إلى حركة الجلندي في أحداث سنة ١٣٤هـ ، أي في عهد أبي العباس السفاح أوائل الدولة العباسية ، ولم يشير إلى الهجرة^(١) ، وعلى هذا فإن هجرة الأزدية هذه قد تمت في عهد الدولة العباسية وليس في عهد الدولة الأموية ، وقد جاء ذكرها في المصادر العمانية المحلية حيث ذكرها السيابي^(٢) .

وفي أواخر القرن الثالث الهجري قدمت هجرة بني الحارث من شرق الجزيرة العربية واستقرت بساحل الصومال ويعزى لهم تأسيس مدينة مقديشو سنة ٢٩٥هـ والتي أصبحت عاصمة لإمارة إسلامية أخذت تمت نفوذها على الساحل الشرقي شمالاً وجنوباً وتؤسس المدن والمراكز الإسلامية ومن أهمها: مركة، وبراو و كسمايو ، وقد دفعت هذه الهجرة الزيدية للتوغل في داخل القارة مما أدى إلى نشر الإسلام بين القبائل الإفريقية التي امتزجت مع المهاجرين المسلمين^(٣) .

لقد ظلت مقديشو مزدهرة حتى قيام مملكة كلوة في الجنوب ، كما أن سكانها قد عملوا على نشر الإسلام جنوباً، وارتبطوا ببلاد الزنج جنوباً بروابط تجارية قوية،

(١) ابن جرير الطبري . تاريخ الرسل والملوك ، ج٩/ص١٤٩ ، ١٥٠ . ابن الأثير . الكامل - بيروت: دارالكتاب العربي، ١٣٨٧هـ ج٤/ص٢٤٣ ، وانظر أيضاً : ابن كثير . البداية والنهاية : تحقيق عبدالله التركي - ط ١ - القاهرة : دار هجر ، ١٤١٧هـ ، ج١٣ / ص ٢٨٨ .

(٢) سالم بن حمود السيابي . إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان - بيروت ، ص ١٩٠ ، وانظر : عمان في التاريخ ، ص ١٢٦ ، وزارة الإعلام العمانية ١٩٩٥م .

(٣) جيان . وثائق تاريخية وجغرافية ، ص ٨٥ ، سعيد بن علي الغيري . جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار : تحقيق محمد علي الصليبي - ط ٣ ، سنة ١٤١٥هـ ، ص ٨٣ .

وعلى الرغم من ازدهارها إلا أنها لم ترد في المصادر الجغرافية العربية باسمها قبل ياقوت الحموي الذي ذكر أنها سوق مهمة لتصدير عود الصندل والأبانوس ، والعنبر ، والعاج^(١) .

ولما ذكرها ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥ هـ) وصفها بمدينة الإسلام المشهورة المترددة الذكر على ألسنة المسافرين^(٢) ، مما يدل على أنها لم تكن مركزاً تجارياً فحسب ، بل أصبحت منارة للثقافة والحضارة الإسلامية في شرق إفريقيا ، وفي القرن الثامن الهجري زار الرحالة المسلم ابن بطوطة مدينة مقديشو فقدم لنا معلومات قيمة عن أوضاعها السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية .

أما الهجرة التي كان لها الأثر الكبير على كلوة وما جاورها من بلاد الساحل فهي الهجرة التي قدمت من بلاد فارس ، أو ما عرف في الدراسات التاريخية المتخصصة بهجرة الفرس الشيرازيين ، وقد أورد صاحب كتاب السلوة في أخبار كلوة خبر هذه الهجرة ، ويظهر أن الدراسات الغربية والعربية اللاحقة قد اعتمدت عليه في نقل أخبارها ، وملخصها أن ستة أخوة وأبوهم قد ارتحلوا من شيراز بسبب رؤيا رآها الوالد فهاجر مع أولاده ، واستقر كل واحد منهم في منطقة من مناطق الساحل ، واشترى الأب كلوة من ملكها الكافر وتملكها بعده ، وملك أبناءه على بقية المراكز وتوارثوا الحكم فيها^(٣) .

هذا هو ملخص قصة هذه الهجرة التي نُسب إليها قيام مملكة كلوة الإسلامية غير أن الباحث الفاحص لا يستطيع أن يسلم بصحة هذه القصة والتي يظهر الخيال

(١) ياقوت الحموي . معجم البلدان ، ج ٥/ص ١٧٢ .

(٢) الجغرافيا ؛ تحقيق إسماعيل العربي ٠ - ط ١ - بيروت : المكتب التجاري ، ١٩٧٠م ص ٨٢ .

(٣) السلوة في أخبار كلوة ؛ تحقيق محمد علي الصليبي ، وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٢٧ وما بعدها .

واضحاً في ثناياها ، بل إنها أقرب للأسطورة منها للحقيقة التاريخية ، فهل من المعقول أن يهجر حاكم بلاده لأجل رؤيا رآها ؟ وهل يعقل أن يبيع ملكٌ بلاده بقطع قماش ملون كما تذكر القصة عن الملك الكافر ؟ ولماذا هاجر كل واحد في سفينة ؟ هذه الأسئلة لم ترد - للأسف الشديد - في ثنايا البحوث السابقة وبخاصة الغربية ، كما أن الباحثين العرب قد نقلوها دون تمحيص ، أو تدقيق فشاع بين الباحثين والقراء على حد سواء أن الفضل في قيام هذه المملكة وانتشار الإسلام فيها كان بسبب الفرس الشيرازيين ، بل تطور الأمر في العصر الحاضر إلى القول أن أهل الساحل قد اعتنقوا الإسلام على المذهب الشيعي مما دفع الإيرانيين للعمل بقوة لإعادة المجد المزعوم ، وإذا كان العقل المجرد يرفض هذه الأسطورة جملة وتفصيلاً ، فإن السياق التاريخي ، والمصادر المعاصرة ترفضها أيضاً بشكل قاطع .

فجميع المصادر التاريخية التي وصلت إلينا لم تذكر هذه القصة قبل كتاب السلوة والذي ظهر متأخراً جداً في عصر السيد برغش سلطان زنجبار العماني ، كما ذكر مؤلفه أنه ولد سنة ٩٠٤هـ^(١) .

ولذا تناول في آخره أخبار البرتغاليين حين وصولهم إلى الساحل مما يدل على أن تأليفه كان متأخراً جداً^(٢) .

كما أن الرحالة المسلمين الذين زاروا هذه المنطقة إبان ازدهار مملكة كلوة لم يذكروا أي شيء عن هذه الأسرة الشيرازية، بل ذكروا عكس ذلك تماماً، فابن بطوطة الذي زارها سنة ٧٣١هـ، يذكر أن المذهب السائد هو المذهب الشافعي واللغة السائدة العربية وليست الفارسية والحكام ليسوا شيرازيين كما تذكر الأسطورة^(٣) .

(١) المصدر السابق ، ص ١١ ، مقدمة المحقق .

(٢) السلوة ، ص ٥٠ ، ٥١ .

(٣) الرحلة -٠- بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ ص ٢٥٩ .

وبناءً على هذا يتضح أن قيام هذه المملكة وانتشار الإسلام في الساحل لم يرتبط بأسرة ، أو مذهب ، وإنما كان نتيجة عوامل متداخلة شأنه شأن بقية الساحل الشرقي حيث تضافرت جهود الدعاة مع المهاجرين ، والتجار لنشر الإسلام والثقافة العربية ، ومن ثم تأسيس مملكة إسلامية أخرى إلى الجنوب من مقديشو هي مملكة كلوة الإسلامية .

ومن الممكن أن يكون هناك مهاجرون ، أو دعاة ، أو تجار من شيراز إلا أنهم كانوا على كل حال من السُّنة وليسوا من الشيعة ، فالمصادر تؤرخ لانتشار الإسلام وتطور الوجود الإسلامي في الساحل الجنوبي خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين ، أي في عهد الخلافة الأموية ثم العباسية ، وربما كانوا من جنود الخلافة العباسية التي استكثرت منهم في جيشها^(١).

وعلى كل حال فإنه لا يمكن تحديد وصول المسلمين إلى الساحل الشرقي لإفريقية بتاريخ معين ، أو حادثة محددة ، ذلك أن الاتصالات بينه وبين العالم الإسلامي وخاصة شبه الجزيرة العربية كانت مستمرة وكانت سفن العمانيين وعرب الساحل الشرقي للجزيرة العربية ، وكذا اليمنيين تنتظم في الوصول إلى الموانئ الإفريقية في أوقات محددة من العام حسب مواسم هبوب الرياح ، ففي الصيف وخاصة ما بين مايو وسبتمبر تسود الرياح الموسمية الجنوبية الغربية ، وفي الشتاء تؤثر الرياح الموسمية الشمالية الشرقية^(٢) .

وكان أكثر ربابنة السفن التي تبخر بين السواحل العربية والإفريقية من الأزد

(١) سعيد المغيري . جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار ، ص ١٣٥ .

(٢) كتاب السلوة في أخبار كلوة ، مقدمة المحقق ، ص ٧ ، سبنسر ترمنجهام . الإسلام في شرق إفريقيا ؛ ترجمة محمد عاطف النواوي - القاهرة : مكتبة الأنجلو ، ص ٣٥ .

العمانيين ، حيث ذكر المسعودي : "أن هؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر - أي البحر الحبشي كما يسميه - من أهل عُمان عرب من الأزد"^(١) .

كما أن السيرافيين أيضاً يقطعون هذا البحر وقد ركبهُ المسعودي معهم مبحراً من سنجار في عُمان ، كما أنه في سنة ٤٠٣هـ ركبهُ آخر مرة متوجهاً من جزيرة قنبلو إلى عمان مع أحمد وعبد الصمد السيرافيين^(٢)، وهكذا كثر المهاجرون والتجار والدعاة ونشروا الإسلام والثقافة العربية على طول الساحل وازدهرت الإمارات والمدن التي أنشأوها وكان من أهمها إمارة كلوة الإسلامية .

أما عن الحياة السياسية فلقد كان الساحل من مقديشو شمالاً وحتى سفالة جنوباً مرتبطاً مع بعض في نوع من الاتحاد الكونفدرالي حيث احتفظت كل مدينة باستقلالها الذاتي ، وكانت مدينة كلوة تتبوأ مكان الصدارة في هذا الاتحاد ، بل إن بعض المدن يحكمها أفراد من الأسرة الحاكمة فيها^(٣) .

وعلى كل فإن المعلومات التي وصلت إلينا شحيحة جداً ، وتكاد تنحصر في مصدرين اثنين وهما رحلة ابن بطوطة وكتاب السلوة في أخبار كلوة ، وبناء على ما ذكره صاحب السلوة، فإن تأسيس هذه المملكة يعود للمهاجرين الشيرازيين ، وأول حاكم لها هو : علي بن الحسين بن علي ، الملقب بالواصل وذلك في منتصف القرن الثالث الهجري، حيث استطاع أن يخضع كلوة وما جاورها لحكمه وأن يولي أبناءه

(١) مروج الذهب ، ج ١ / ص ١٠٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٨ وجزيرة قنبلو إما أنها جزيرة مدغشقر أو جزيرة بمبا القريبة من زنجبار (جورج فاضلو حوراني . العرب والملاح في المحيط الهندي ، ص ٢٣١) .

(٣) جيان ، وثائق تاريخية وجغرافية ، ص ٢٢٤ . جوان جوزيف، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات أفريقية ؛ ترجمة مختار السويدي - ط ١ - القاهرة : دار الكتب الإسلامية ، ١٤٠٤هـ ، ص ١٤٠ .

على الموائى والأجزاء المنتشرة حولها ، وقد ظل في الحكم أربعين سنة ، وخلفه حفيده علي بن بسحت بن علي بن الحسين ، ودام حكمه أربع سنوات ونصف ، وورث الحكم من جده على الرغم من وجود أعمامه نظراً لأن والده كان أقواهم حيث ملك ممباسا استقلالاً بعد أبيه ، وتولى بعده عمه داود بن علي ، ويظهر أن ممباسا قد بدأت تزدهر وتتافس كلوة كميناء تجاري مهم ، ولذا نراه يستقر فيها ويتنازل عن الحكم لولده علي بن داود بن علي بن الحسين^(١) .

لم تستقر الأمور لأسرة الواصل ، حيث خرج عليهم جماعة عرفوا بالتمندلين وحاربوهم طويلاً ، وملكوا كلوة ، وولوا رجالاً منهم اسمه خالد بن بكر ، ويدل هذا على أن الإسلام قد عم الساحل ، حيث إن خالداً هذا من أهل البلاد الأصليين .
والحقيقة أن النزاع قد ظل بين التمندلين وبين أحفاد الواصل مدة من الزمن حتى استقر الوضع أخيراً حينما تسلم الحسن بن داود بن علي الملك وعمره سبعين سنة ، وظل يحكم فترة طويلة من الزمن^(٢) .

ولعل من أشهر الأسر الحاكمة في كلوة أسرة أبي المواهب المهدي التي ظلت تحكم مدة طويلة ووصلت مملكة كلوة في عهدها إلى أوج ازدهارها ، واشتهر من حكامها أبو المظفر الحسن بن سليمان المهدي ، والذي عرف أيضاً بأبي المواهب لكثرة عطاياه ومواهبه ومكارمه ، ولقد وصل الرحالة المسلم ابن بطوطة إلى مملكة كلوة في عهده سنة ٧٢١هـ ، وذكر بأنه كان كريماً مجاهداً ملتزماً بشعائر الإسلام ، يفد عليه الأشراف من الحجاز فيكرمهم ويعطيهم من خمس الغنائم ، وكان متواضعاً يجالس الفقراء ويعظم أهل الدين والشرف^(٣) ، وكان هذا الحاكم قد سافر إلى

(١) السلوة ، ص ٣٠ .

(٢) السلوة في أخبار كلوة ، ص ٣٢ .

(٣) الرحلة ، ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

اليمن والحجاز لطلب العلم في صغره ثم تولى الحكم في كلوة وكانت مدة ولايته أربع عشرة سنة^(١). وقد استمر الحكم في هذه الأسرة مدة من الزمن ثم خرج الحكم إلى أسر أخرى كما أن الوزراء بدأوا يتدخلون في شؤون الدولة ، وتولى كثير منهم الحكم ، وقبل وصول البرتغاليين إلى المنطقة انتقل الحكم للوزراء فكثرت الخلافات بينهم وتطورت إلى حروب أهلية ، وكان آخر حاكم منهم الفضيل بن سليمان الذي تولى سنة ٩٠١ هـ ، ووصل البرتغاليون في عهده سنة ٩٠٣ هـ^(٢) .

والحقيقة أن مملكة كلوة قد ضعفت كثيراً أواخر أيامها ، ولعل ذلك يرجع إلى أسباب داخلية وخارجية ، فأما الأسباب الداخلية فتتمثل في الخلافات التي استغرقت مدة طويلة من تاريخها سواء بين الحكام أنفسهم ، أو بينهم وبين الأسر الطامعة في الحكم كما حصل مع المتتمدلين والوزراء^(٣) ، وكذلك فإن ما حصل من تنافس بين المراكز التجارية في هذه المملكة قد أدى إلى إضعافها كما حصل مع ممباسا و مالندي ، ثم كانت المنافسات مع المراكز الخارجة عن نطاق كلوة ، حيث ازدهرت المراكز في الشمال ابتداءً من مقديشو وبراوة وغيرهما ، ولعل قيام الإمارة النبهانية في القرن السابع الهجري شمالاً قد أضعف مملكة كلوة وحداً من نفوذها ، وخطف الأضواء منها ، فقامت هذه الإمارة الناشئة في باتا بالدور الأكبر في تجارة الساحل مع الهند والبلاد العربية^(٤) .

ولقد كان نظام الحكم وراثياً في أبناء المهاجرين أول الأمر ثم أصبح ينتقل بين

(١) السلوة في أخبار كلوة ، ص ٢٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٠ ، ٥١ .

(٣) جيان . وثائق إفريقية الشرقية ، ص ٨٩ وما بعدها .

(٤) د . حسن أحمد محمود . الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ، ص ٣٩٩ ، سيد رجب حراز ،

إفريقيا الشرقية والاستعمار الأوربي ، ص ٥٠ .

الأسر وخاصة بعد أن امتزج المهاجرون بالسكان الأصليين ، وقد حكمت أسر إفريقية كما مر سابقاً ، حيث إن المتمندين من السكان الأصليين .

وعلى الرغم من عدم ورود معلومات كافية عن التنظيم الإداري في هذه الدولة إلا أن المعروف أنها كانت تدار بجهاز إداري دقيق وكان الوزراء من أهم موظفيه إلى جانب القضاة والولاة^(١).

وعلى الرغم من أن نشأة هذه الدولة سلمية وليست في حاجة لوجود جيش كبير لعدم وجود أعداء لها إلا أن المصادر تشير إلى وجود جيش قوي في بعض الأوقات ، فحينما زارها ابن بطوطة ذكر أن حاكمها أبو المظفر المهدي كثير الغزو لأرض الزنوج^(٢)، كما أن البرتغاليين حينما وصلوا إليها وبدأوا في مهاجمة المدن جوبهوا بدفاع قوي ، مما يدل على قوة جيوشها^(٣).

ولا شك أن ازدهار التجارة ينبئ عن نظام اقتصادي متطور تعتمد عليه الدولة ويلتزم بالشرعية الإسلامية فيذكر ابن بطوطة أن السلطان يخرج خمس الغنائم ويصرفه في مصارفه المعينة في كتاب الله تعالى ويجعل نصيب ذوي القربى في خزانة على حدة يدفعه لهم إذا قدموا عليه^(٤)، والمعروف أن سلاطين كلوة قد سكوا عملات خاصة من النحاس لتكون أساساً للتعامل بدلاً من الودع الذي كان يستخدمه الأفارقة^(٥)، وكان الحكام يلتزمون بالشرعية الإسلامية ويطبقون تعاليمها ويعملون

(١) ابن بطوطة . الرحلة ، ص ٢٥٩ ، السلوة ، ص ٤٥ .

(٢) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٢٥٨ .

(٣) كولن ماكيفيدي . أطلس التاريخ الأفريقي ؛ ترجمة مختار السويدي - القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ١٢٢ .

(٤) الرحلة ، ص ٢٥٨ .

(٥) الحويري . ساحل شرق أفريقية ، ص ١٢١ .

على نشرها بين السكان الأصليين وخاصة في الجنوب وفي الداخل بين الزوج وكانوا على المذهب الشافعي كما ذكر ابن بطوطة^(١)، ولا زالوا إلى وقتنا الحاضر ، وعلى الرغم من أن المصادر تذكر وصول جماعات مهاجرة متعددة المذاهب، إلا أن الملاحظ هو امتزاج هذه العناصر فيما بينها، ومع السكان الأصليين واختفاء جميع المؤثرات المذهبية غير المذهب السني الشافعي ولذا ذكر ابن بطوطة أنه يغلب عليهم الدين والصلاح^(٢).

ونظراً لما تمتع به أهل هذه البلاد من حب للإسلام والثقافة العربية فقد كانوا على صلة قوية بالمراكز الحضارية في العالم الإسلامي ، وكانوا يرسلون أولادهم للدراسة فيها ، بل إن الحكام أنفسهم يطلبون العلم فيها كما فعل أبو المواهب المهدلي حيث سافر إلى اليمن والحجاز لطلب العلم^(٣) ، كما أنهم يستقبلون الوافدين منها ويقربونهم وقد رأى ابن بطوطة مجموعة من الأشراف في بلاط أبي المواهب ومنهم محمد بن جماز، ومنصور بن لبيدة بن أبي نمي، ومحمد بن شميلا ابن أبي نمي^(٤). وكانت اللغة العربية هي لغة الحكام والعلم والثقافة، وظلت كذلك مدة طويلة من الزمن حتى ظهرت اللغة السواحلية الخاصة بهذه البلاد، والتي تمثل اللغة العربية الجزء الأعظم من مفرداتها كما أنها تكتب بالحروف العربية، وظهرت نتيجة اختلاط عدد من اللغات البانتوية بعضها ببعض من جهة، وباللغة العربية من جهة أخرى^(٥).

(١) الرحلة ، ص ٢٥٨ .

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة .

(٣) السلوة ، ص ٣٣ .

(٤) الرحلة ، ص ٢٥٨ .

(٥) محمد إبراهيم أبو عجل. الأدب السواحلي الإسلامي، مطبوعات جامعة الإمام ١٤٢٢هـ ص ٣٦.

وكان التجار العمانيون يجيدون هذه اللغة ويتفاهمون مع الزوج وبيادلونهم المتاجر ، واستخدم الإدريسي الأسماء السواحلية على مسمياتها فمثلاً حينما يشير إلى جزيرة زنجبار يسميها باسمها باللغة السواحلية "الأنقوجة" ويذكر أن ذلك بلغة أهل تلك الجزائر ، بل إنه يستخدم مسميات سواحلية كالقند ، والفيلي ، والمورياني ، وهي أنواع من الموز الذي يكثر في تلك البلاد^(١) .

مما يدل على أن اللغة السواحلية قد ازدهرت خلال القرن السادس الهجري ، وبدأت تنافس اللغة العربية وفرضت نفسها كوسيلة للحديث بين الشعوب الساحلية ، واستمرت كذلك حتى القرن العاشر الهجري حيث حلت محل العربية وأصبحت لغة التخاطب والأدب وظهرت القصائد الشعرية بهذه اللغة ، وتأثرت بالأسلوب الفني للقصائد العربية ، بل إن بعضها كتب محاكاة لقصائد عربية مشهورة^(٢) .

قام المسلمون العرب بالدور الرئيس في نشر التعليم على طول الساحل الشرقي لإفريقيا ، وتعلم الأفارقة على أيديهم العلوم العربية والإسلامية ؛ ثم استمرت عملية التعليم على يد تلاميذهم من المسلمين الأفارقة ، وتركز التعليم في المساجد وما يعرف بالخلوي التي يتلقى فيها الفتيان والفتيات القرآن الكريم ويحفظونه إلى جانب العلوم الأخرى كال تفسير ، والفقه ، ومبادئ اللغة العربية^(٣) . واشتهر سكان إمارة كلوة بحماسهم في طلب العلم وشفغهم به كثيراً ، ولعل ما ذكره ياقوت الحموي في قصة العالم الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد العزيز الأنصاري (ت ٤٧٤هـ) ما يدل على ذلك حيث يذكر أن أبا الحسن خرج إلى عمان فركب منها إلى بلاد الزنج "

(١) الإدريسي . نزهة المشتاق ، ج ١/ص ٦١ ، ٦٢ .

(٢) سيد حامد حريز . المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية في شرق إفريقيا ، ص ٧٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٨ ، محمود محمد الحويري ، ساحل شرق إفريقيا ، ص ٤٤ .

وكان معه من العلوم أشياء فما نفق عندهم إلا النحو، وقال: لو أردت أن أكسب منهم ألوفاً لأمكن ذلك، وقد حصل لي منهم نحو من ألف دينار، وتأسفوا على خروجي من عندهم^(١)، وكان من نتيجة حماس سكان الساحل في طلب العلم وما يقابله من رغبة أكيدة لدى العرب المسلمين لتعليمهم ظهور حضارة شاملة عمت الساحل الشرقي لإفريقيا وفي جميع الجوانب الثقافية والعلمية والعمرانية، وساعد على ذلك خلو الحضارة الإسلامية وسموها من نظام الطبقات، أو التمييز اللوني بين البشر، حيث تتفرد وتتميز بذلك من بين الحضارات القديمة والحديثة فاندمج المهاجرون مع السكان الأصليين وظهرت مراكز حضارية تشع بنور الإسلام وعلومه وثقافته لكل أرجاء إفريقيا، وانتشرت المساجد والمدارس في هذه المراكز تستقبل طلاب العلم ومريديه في كلوة ومباسا ومالندي وزنجبار وجزر القمر وباتا، ولقد كان من نتائج هذه النهضة العلمية زوال الأمية، أو انحسارها وربط المجموعات الإفريقية ببعضها بثقافة ذات لغة واحدة مما مهد الطريق لارتباطها بالعالم الإسلامي^(٢).

ولم تقتصر النهضة الحضارية على العلوم فحسب، بل شملت جميع الميادين، ففي ميدان الزراعة مثلاً كان السكان الأصليون يقتصرون على الزراعة البدائية لمحاصيل بسيطة، ولما جاء العرب المسلمون أدخلوا أساليب زراعية جديدة وجلبوا محاصيل كثيرة فأدخلوا زراعة قصب السكر، والسمن الهندي، والبهارات والأشجار المثمرة التي جلبوها من الهند، كما عَلمُوا حرفة الزراعة لجيرانهم الأفارقة، وأصبحت هذه المراكز تصدر الكثير من السلع الزراعية للأسواق الخارجية^(٣).

(١) ياقوت الحموي . معجم البلدان ، ج ٥/ص ٢٤٧ .

(٢) سيد رجب حراز . إفريقيا الشرقية والاستعمار الأوروبي ، ص ٦ .

(٣) سيد حامد حريز . المؤثرات العربية ، ص ٥٨ .

أما في مجال العمارة فقد ازدهرت العمارة الإسلامية في مدن الساحل وانتقلت المؤثرات العربية الإسلامية إليها سواء في الأساليب الهندسية للبناء ، أو في المواد المستخدمة فيه. يذكر ابن بطوطة حينما زار كلوة: "أنها من أحسن المدن وأتقنها عمارة، حيث يستخدمون الخشب، ويسقفون البيوت بالديس ، وهو نوع من القصب"^(١).

وقد استخدموا الحجارة في أبنيتهم فكانت أعمدة مسجد كلوة من الحجارة المنحوتة، وفيه قباب بنيت بطريقة هندسية دقيقة ، وقد احترق هذا الجامع في عهد أبي المواهب الحسن بن سليمان المهدي الذي كان يحكم كلوة حينما زارها ابن بطوطة سنة ٧٣١هـ ، ولم يبق إلا القبة المشهورة التي يصلى فيها ، ولما أراد أحد خلفائه إعادة البناء لم يستطع البناؤون أن يركبوا الأعمدة كما كانت؛ لأنها كانت من الحجارة المنحوتة فاستعاضوا عنها بأعمدة خشبية وجعلوا مؤخرة المسجد قباباً تكمله لقبة أبي المواهب الباقية^(٢) ، وهكذا يتبين تأثير العمارة بالأساليب الإسلامية الهندسية، حيث ظهرت القباب والعقود ، واستُخدمت الحجارة والأخشاب ، ولم يقتصر الأمر في ذلك على المساجد ، بل إن الناس في كلوة بدأوا يبنون بيوتهم بالحجارة، حيث كانوا يقطعونها إلى أشكال منتظمة ، ويلصقون بعضها ببعض^(٣) ، وفي المدن الأخرى استخدمت الأساليب العمرانية نفسها ؛ فمساجد ممباسا من الخشب محكمة الإتقان ، وعند كل باب من أبوابها تُحفر بئر أو بئران للوضوء والسقيا^(٤) ، وهذا تقليد إسلامي ظل معروفاً إلى العصر الحديث في بعض البلاد

(١) الرحلة ، ص ٢٥٨ .

(٢) السلوة في أخبار كلوة ، ص ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٨ .

(٣) ترمنجهام . الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ١١ ، ١٢ ؛ ترجمة محمد عاطف النواوي.

(٤) ابن بطوطة . الرحلة ، ص ٢٥٧ .

الإسلامية، وأما بيوتها فبنيت من الحجارة والكلس، وهي رائعة وجميلة ، وكان نمط بنائها أشبه ما يكون بنمط بناء منازل الأندلس ، وأسطحها مجصصة ومقسمة أقساماً كثيرة مختلفة^(١) ، وكذا الحال في مآلنده حيث تميزت بحسن نظام الطرقات واستقامتها ، وجمال المنازل ومثانة بنائها بالأحجار ، وتعدد طبقاتها ذات الشرف المطلة على الطرقات^(٢).

أما في زنجبار فيوجد المسجد الذي يعد من أقدم مساجد مدن الساحل ، حيث بني سنة ٥٠٠ هـ ، كما يتضح من النقش الذي لا يزال موجوداً في محرابه^(٣)، وقد اندهش البرتغاليون حينما وصلوا إلى سفالة في موزنبيق ، وأذهلهم تقدمها العمراني ، إذ كانت المنازل مشيدة بالخشب ، والمسجد ودار الحاكم مبنية بالحجارة^(٤) ، وبالجمله فقد اندهش الأوروبيون من التقدم الحضاري الذي وجدوه في هذه المنطقة . يقول المؤرخ والرحالة الأسباني مارمول كرفجال الذي زار إفريقيا وتجلول فيها في القرن العاشر الهجري : إن العرب عمروا ذلك الساحل فإذا وجد مكان فيه نظام وشرطة فهو من عمل يدهم وفيما يخص البناات القديمة فهي كبيرة وفخمة وتتجاوز في بعض الأماكن مآثر اليونان والرومان^(٥) .

على أن أعظم الميادين الحضارية ازدهاراً في هذه المراكز هو الميدان التجاري ولا عجب في ذلك، فإن نشأتها في الأصل إنما كانت تجارية ، وقد كانت التجارة من

(١) جيان . وثائق تاريخية وجغرافية ، ص ٢١٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٢٠ ، مارمول كرفجال . إفريقيا ؛ ترجمة محمد حجي وآخرين - الرباط : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، ج ٣/ص ٢٦٤ .

(٣) الحويري . ساحل شرق إفريقية ، ص ١١٥ .

(٤) جيان . نقلاً عن المؤرخ بريتودي ريزند ، ص ٣١٨ .

(٥) إفريقيا ؛ ترجمة محمد حجي وآخرين، ج ٣/ص ٢٦١ .

العوامل المهمة التي أغرت المسلمين للاستقرار في هذه البلاد ، كما أنها قد دعمت الاتصال الدائم بالبلاد الإسلامية ، وقد ساعد على ازدهار التجارة في هذه المنطقة عدد من العوامل : فموقعها على المحيط الهندي قريبة من أسواق الجزيرة العربية ، والأسواق الشرقية في الهند وجزرها ، وكذا توافر البيئة الطبيعية الصالحة لإقامة الموانئ ورسو السفن ومعرفة العرب بأسرار الإبحار في هذا المحيط وخاصة مواسم هبوب الرياح كلها عوامل مهمة ساعدت على ازدهار التجارة، إضافة إلى توافر السلع التجارية المهمة وعلى رأسها الذهب والحديد والعاج والرقيق في هذه البلاد .

والحقيقة أن توافر هذه السلع قد لفت الأنظار إلى أهمية هذه المنطقة. فالإدريسي في القرن السادس الهجري يشير إلى توافر التبر في بلاد سفالة وهو من النوع الجيد الذي لا يعدله شيء من التبر في الطيب والكثرة ، كما أنه يستخرج بكميات كبيرة ولا يحتاج إلى جهد في استخراجة لنقائه، كما أنه يشير إلى معدن الحديد الذي يوجد في سفالة وممباسا^(١)، وفي مالندي يستخرج الحديد أيضاً ويجلب لجميع بلاد الزنج^(٢)، ولقد كان الذهب يمثل السلعة الأساسية للتصدير وكان يصدر من سفالة أولاً عن طريق التجارة الصامتة حيث يجلب لهم التجار الأمتعة ويتركونها ثم يرجعون ليجدوا ثمنها من الذهب قد وضع بجوارها، وهذا هو المعمول به في تجارة الذهب أيضاً في إقليم السودان الغربي^(٣) ، وبعد أن بسط حكام كلوة نفوذهم على سفالة أصبحوا هم المتحكمين في تجارة الذهب ، بل إنهم احتكروا تجارته لأنفسهم وأصبحوا يصدرونه للبلاد الإسلامية في آسيا ويستوردون الأقمشة والسلع الآسيوية الأخرى^(٤) .

(١) نزهة المشتاق ، المجلد الأول / ص ٥٩ ، ٦٨ .

(٢) ابن سعيد . الجغرافيا ، ص ٨٣ .

(٣) ياقوت . معجم البلدان ج / ص

(٤) جوان جوزيف . الإسلام في ممالك وإمبراطوريات أفريقيا السوداء ، ص ١٣٩ .

أما الحديد فكان يصدر إلى الهند ، ويقبل الهنود على شرائه ويفضلونه على أي نوع آخر ينتج في الهند نفسها ، وذلك لجودته ، ويصنعون منه السيوف الهندية المشهورة وينسب إلى الهند على الرغم من أنه ينتج في سفالة ومالندي^(١) .

لقد كان من نتائج الازدهار التجاري في مراكز الساحل الشرقي توافد السفن التجارية من البلاد العربية والهند والصين والمناطق الإفريقية المجاورة ، ولقد أورد الزهري معلومات عن البدايات الأولى لتجارة الساحل مع جيرانه ، فيذكر أن النوبة والحبشة يأتون إليهم بالمتجر من بلادهم كالمح الذي هو أنفع ما يحمل إليهم فيضع كل واحد سلعته ويذهب فيأتي الزنج بالتبر ويجعلونه أمام كل سلعة مقدساً فيأتي النوبة والحبشة ؛ فإن أعجبهم ذلك أخذوه وإن لم يعجبهم نقلوا سلعتهم إلى مكان ثان حتى يزداد لهم في القيمة فيتبايعون كذلك ولا يرى أحد منهم صاحبه^(٢) .

وفي بداية الأمر لم يكن للزنج أهل الساحل مراكب يسافرون فيها ، ولذا فإن المراكب تأتي إليهم وخاصة من عُمان ، والهند ، وجزر الهند الشرقية ، والصين^(٣) ، ثم مع مرور الوقت وتوافد العرب قاموا بهذا العمل بأنفسهم ، وأصبحت كلوة تمتلك أسطولاً كبيراً من السفن التي تمخر عباب البحر وتصل إلى الهند ، والصين ، وبلاد العرب^(٤) .

كانت المراكز التجارية على الساحل وهي كلوة ، وممباسا ، ومالندي ، وزنجبار تستقبل السلع والبضائع من المناطق الداخلية ، وتقوم بتصديرها ، وكان من أهم هذه

(١) الإدريسي . نزهة المشتاق ، المجلد الأول / ص ٦٧ .

(٢) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري . كتاب الجغرافيا ؛ تحقيق محمد حاج صادق - القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، ص ١٢٢ .

(٣) الإدريسي . نزهة المشتاق ، المجلد الأول ، ص ٦١ .

(٤) سيد رجب حراز . أفريقيا الشرقية والاستعمار الأوروبي ، ص ٦ .

السلع إضافة إلى الذهب والحديد: الرقيق، والعاج، والعنبر، والصمغ، واللبان، والبخور، وسيقان أشجار المانجروف التي تستخدم في سوارى السفن وبناء المنازل ، وشمع العسل ، والعسل ، والحبال المصنوعة من قشور النارجيل، ودركات السلاحف^(١).

وتستورد من الهند والصين والجزيرة العربية المنسوجات الفاخرة والعقاقير والأحجار النفيسة ، والقرنفل ، والجوز ، وخشب الصندل ، والكافور ، والعطر ، والأفاوية ، والأواني الصينية^(٢) . وبمرور الوقت كانت العلاقات تزداد مع الهند والصين ترسخاً وازدهاراً ، بل إن تجار الصين حينما ازدادت الاضطرابات في بلادهم في عصر الجغرافي المسلم الإدريسي صيروا تجارتهم إلى هذه البلاد وتعاملوا مع أهلها وأنسوا إليهم لعدلهم وحسن معاشرتهم ومعاملتهم وسماحة تجارهم " فهي لذلك عامرة والمسافر إليها كثير " ^(٣) .

وختاماً فإنه من الممكن أن نشير إلى عدد من النتائج المستخلصة من ثانيا هذا البحث :

- فقد اتضح أن الإسلام انتشر بوسائل سلمية في شرق أفريقيا وكان من أهم هذه الوسائل الدعوة والهجرة والتجارة .
- لقد كانت نشأة هذه المدن والممالك بعد ذلك نشأة سلمية أيضاً واعتمدت في قيامها على نشاط التجار المسلمين المهاجرين الذين تدفقوا إلى الساحل الشرقي لأفريقيا من جميع مناطق العالم الإسلامي .

(١) جيان . وثائق تاريخية وجغرافية ، ص ٢١٦ .

(٢) المصدر السابق، ص ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٤٢٨ ؛ نقلاً عن المؤرخ الصيني شاوجوكوا .

(٣) نزهة المشتاق ، المجلد الأول / ص ٦٢ .

- استمرت الصلات وخاصة التجارية مع العالم الإسلامي، مما أدى إلى استمرار التأثير الحضاري الإسلامي كما أن الهجرة لم تنقطع إلى تلك البلاد .
- شهدت هذه المنطقة قيام ممالك وإمارات إسلامية كان أشهرها وأقواها مملكة كلوة الإسلامية ، ودانت لها غالبية مدن الساحل ومراكزه التجارية بالتبعية في أغلب حقب تاريخها .
- اعتمدت هذه المملكة في بقائها وازدهارها وقوتها على النشاط التجاري وخاصة تجارة الذهب، حيث سيطرت على مراكز إنتاجه وأشرفت على تصديره للعالم أجمع .
- قامت نهضة حضارية شملت جميع مناحي الحياة الثقافية والعمرانية والاقتصادية، وكانت امتداداً للحضارة الإسلامية ، واعتمدت اللغة العربية في التعليم والتدريس مدة طويلة حتى ظهرت اللغة السواحلية المكتوبة بأحرف عربية.
- ولا بد من الإشارة إلى أن جميع الأجناس المهاجرة قد امتزجت مع السكان الأصليين وظهر عنصر جديد عرف بالعنصر السواحلي نسبة للغة التي يتحدثها ، وذابت جميع المذاهب وأصبح المذهب الشافعي هو مذهب المسلمين هناك .

المصادر والمراجع

- ١ - ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني . الكامل في التاريخ ؛ بعناية نخبة من العلماء - ط ٢٠ - بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
- ٢ - الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن إدريس الحمودي: المعروف بالشريف الإدريسي. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق - ط ١ - بيروت : دار الكتب ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
- ٣ - ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي . تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المشهور برحلة ابن بطوطة - بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ٤ - ترمنجهام ، سبنسر . الإسلام في شرق أفريقيا ؛ ترجمة محمد عاطف النواوي - القاهرة : مكتبة الأنجلو ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٣م .
- ٥ - توماس ، و ، أرنولد . الدعوة إلى الإسلام ؛ ترجمة حسن إبراهيم حسن ، وعبد المجيد عابدين ، وإسماعيل النحراوي - القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٠م .
- ٦ - جوزيف ، جوان . الإسلام في ممالك وإمبراطوريات أفريقيا السوداء ؛ ترجمة مختار السويفي - ط ١ - القاهرة : دار الكتب الإسلامية ، ١٤٠٤هـ .
- ٧ - جيان . وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن أفريقية الشرقية ؛ نقله إلى العربية ملخصاً يوسف كمال - ط ١ - القاهرة ، ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م .
- ٨ - حراز ، السيد رجب . إفريقيا الشرقية والاستعمار الأوربي - القاهرة ١٩٦٨م .
- ٩ - حريز ، سيد حامد . المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية في شرق أفريقيا - ط ١ - بيروت : دار الجيل ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- ١٠ - الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي . معجم البلدان - بيروت: دار صادر .
- ١١ - حوراني ، جورج فاضلو : العرب والملاحة في المحيط الهندي ؛ ترجمة يعقوب بكر - القاهرة : مكتبة الأنجلو .
- ١٢ - الحويري ، محمد أحمد . ساحل شرق أفريقية من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي - ط ١ - القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٦م .

- ١٣- الزهري ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر . الجغرافيا ؛ تحقيق محمد حاج صادق -٠ القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، (د.ت) .
- ١٤- السلوة في أخبار كلوة ؛ تحقيق محمد علي الصليبي ، ١٤٠٥ هـ .
- ١٥- السيابي ، سالم بن حمود . إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان -٠ بيروت ، ١٩٦٥ م .
- ١٦- الصومالي، جامع عمر عيسى . تاريخ الصومال في العصور الوسطى -٠ القاهرة، ١٩٨٥ هـ .
- ١٧- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير . تاريخ الأمم والملوك -٠ بيروت: دار الفكر، (د.ت) .
- ١٨- أبو عجل ، محمد إبراهيم . الأدب السواحلي الإسلامي -٠ الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٢٢ هـ .
- ١٩- المغيري ، سعيد بن علي . جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار؛ تحقيق محمد علي الصليبي ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .
- ٢٠- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر . البداية والنهاية؛ تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي -٠ ط ١ -٠ القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
- ٢١- كرفجال، مارمول . إفريقيا؛ ترجمة محمد حجي وآخرين -٠ الرباط، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .
- ٢٢- ماكيفيدي ، كولين . أطلس التاريخ الأفريقي ؛ ترجمة مختار السويفي -٠ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢ م .
- ٢٣- محمود، حسن أحمد . الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا -٠ القاهرة: دار الفكر، (د.ت) .
- ٢٤- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ) . مروج الذهب ومعادن الجوهر ؛ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد -٠ ط ٤ -٠ القاهرة ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .
- ٢٥- المغربي ، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد . كتاب الجغرافيا ؛ تحقيق إسماعيل العربي -٠ ط ١ -٠ بيروت : المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٧٠ م .
- ٢٦- وزارة الإعلام بسلطنة عمان . عمان في التاريخ -٠ لندن: دار إميل للنشر المحدودة، (د.ت) .
- ٢٧- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب . تاريخ اليعقوبي -٠ بيروت: دارصادر ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م .